صناديق الحج.... تجربة صندوق الحج الاردني

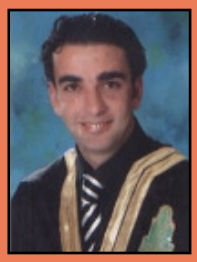

زياد عبد الجليل ابراهيم درادكة
بكالوريس محاسبة

صناديق الحج الاسلامية تجربة صندوق الحج الاردني: من منّا لم يكن أداء فريضة الحج حلما له يراوده صباح مساء، بعد كل صلاة، عند رؤية الحجيج، عند وداعهم واستقبالهم؟ من منّا لم يكن يعتبر هذا الحلم حقّه المشروع ، ودعا الى إنشاء الصندوق كي يكون لنا جميعا سندا وعونا لأداء فريضة الحج مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ صدق الله ويتمنّى تحقيقه بل ويسعى إلى ذلك ؟

وجاء صندوق الحج الاردني ليفتح الباب أمام الرّاغبين لأداء فريضة الحج فكانت فكرة تستحق منا كل الشكر والثناء والتقدير لكل من ساهم العظيم (الحج).

وكما تعلمون إخوتي كم هي المشقة في الحصول على تأشيرة الحج تماشيا مع الأنظمة المتبعة من قبل وزارات الأوقاف الإسلامية في الدول الإسلامية عدا عن المشقة المادية في الحصول على تكاليف أداء تلك الفريضة، فكان صندوق الحج الأردني بوتقة تامين تلك التكاليف من خلال ادخارات المنتسبين لتصل للحد الادنى من تكاليف أداء الفريضة وطبعا تلك التكاليف ومستوياتها تختلف من دولة الى دولة بناء على مستوى الدخل لكل بلد على حدا، ومن عام الى عام آخر أيضا تختلف تلك التكاليف وإن نظرنا بعين فاحصة إلى الأهداف السامية التي تسعى اليها تلك الصناديق نجد أن الهدف الاساسي هو الادخار ذلك الهدف الذي تسعى اليه كل الصناديق على مستوى العالم أيضا لنجد أن جميع الدول التي لدى شعوبها مستوى عال من الادخار نجد أن معدلات الاقتصاد لديها عالية وقياسية النمو والدوران لعجلة اقتصادها ناهيك أيضا عن فوائد الادخار ليس على الفرد.. بل على المجتمع ككل فعلى مستوى الفرد نجد أنّ للادخار فوائد عدة منها :-

- الادخار يعتبر مصدر أمان وتحصين للإنسان من احتياجه أو طلبه للمساعدة من الآخرين.
- تنمية وعي الإنسان والعمل على كونه أكثر قدرة على تنظيم ثقافاته المتعددة.. وتنمية قدرته في التخطيط لمستقبله ولنفسه عموما.. مما ينعكس على المجتمع ككل بعد ذلك تلقائيا.
- يجعل للإنسان أهدافاً يحلم بها، ويعمل ويسعى إلى تحقيقها.. ويساعده الادخار في الوصول إليها فعليا بعد ذلك.
- يجعل الإنسان أكثر أدراكا لإمكانياته وظروفه وما هو متاح لديه.. وبالتالي يصبح الفرد أكثر قدرة على مواجهة أي ظرف أو ظروف طارئة أو أزمات عارضة وهو مستعد لها بأكبر قدر ممكن وعلى دراية واحتياط يمكنه من تفاديها بإذن الله.

أمّا انعكاسات الادخار على المجتمع فتبدو فيما يلي :-

- إن الأموال المدخرة إن تم إحسان استثمارها.. فهي تؤدي خدمات جليلة للاقتصاد الوطني والقومي.
- زيادة حصيلة المدخرات يساهم في فتح آفاق ومجالات اقتصادية جديدة وذات نفع عام من مشاريع قومية كاستصلاح أراضٍ وبناء مدن وتعمير صحراء.
- توفير العديد من فرص العمل اللازمة لإدارة المشاريع الجديدة المنتجة.
- يؤدى تشغيل الأموال المدخرة إلى زيادة الاستثمارات بما يحقق فائضاً في الدخل القومي.. و كنتيجة طبيعية يؤدي ذلك إلى اكتفاء الدولة تدريجيا مما يمنعها من الحاجة لطلب معونة أو اقتراض من أي دولة أجنبية. بالإضافة إلى أن قضية الادخار من أهم القضايا التي تركز عليها صناديق الحج كركيزة من ركائز التنمية الاقتصادية فقد أرجع الاقتصادي (نيركسه) الفقر الذي تعاني منه البلدان النامية إلى عدم قدرة الأفراد على الادخار مما يعني انخفاض عرض رأس المال وانخفاض معدل النمو الاقتصادي، كما يجمع الكثير من الاقتصاديين على أن الادخار ضروري لتوفير رؤوس الأموال الضرورية لتنفيذ أي برنامج استثماري لإحداث دفعة قوية في النمو الاقتصادي، وتمثل مشكلة انخفاض المدخرات في البلدان النامية أهم العوامل التي تقف وراء انخفاض معدلات النمو الاقتصادي، مما يدفعها للاعتماد على التمويل الخارجي للاستثمار وذلك أمر غير مرغوب فيه لما له من آثار سلبية على اقتصاد أي بلد بسبب الأعباء التي يتحملها اقتصاد تلك الدولة.

ولذا فان المدخرات المحلية تعد أمراً ضرورياً وحيوياً لتحقيق معدل نمو اقتصادي مناسب ومقبول، وقد ناقشت العديد من الدراسات أهمية تحقيق معدل ادخار مرتفع كمحدد أساسي للنمو الاقتصادي، وأكدت دور وأهمية تحقيق معدلات مرتفعة من الادخار المحلي لتمويل التكوين الرأسمالي اللازم لعملية التنمية خصوصاً إذا كان البديل هو الاعتماد على الخارج في تمويل الاستثمارات، وكما نعلم من خلال الفكر الاقتصادي بأن التوازن بين الادخار والاستثمار (التوازن في سوق السلع والخدمات) هو أحد المتطلبات الرئيسية لتحقيق التوازن الكلي للاقتصاد وتحقيق الاستقرار الاقتصادي وهذا ما تسعى اليه صناديق الحج في الدول الاسلامية فعلى سبيل المثال صندوق الحج الاردني يتطلب الانتساب اليه ادخار مبلغ عشرة دنانير كحد أدنى وللمشترك حرية الادخار بعد ذلك بالمبلغ الذي يريد.

وإن تتبعنا الدور الذي يقوم به صندوق الحج الأردني من توثيق الصلات بين المواطنين وتحقيق أروع صور التكافل الاسلامي بين المجتمع الاسلامي الواحد عملاً بقوله عز و جل في محكم التنزيل (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) المائدة:٢ وقول رسولنا الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً). صحيح البخاري.

ولعل فيما يحققه الصندوق من التكافل الاجتماعي خير مثال يسهم و ولو بشيء يسير في رسم المعالم الأساسية لهذا المجتمع المنشود الاسلامي.. الذي يعمّ فيه الخير يقول الإمام أبو زهرة(٨) (وهكذا نرى أن واجب المؤمنين أن يتضافروا في إيجاد مجتمع فاضل، ولا يسكت مؤمن منهم عن الدعوة إلى الحق، بل إن التكافل الاجتماعي الخلقي يوجب عليه أن يسهم في بناء المجتمع الفاضل، فيمنع شره، ويدفعه إلى الخير ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن من أن يقف على الحياد في معركة الخير والشر بل عليه أن يكون عنصراً إيجابياً عاملاً فقد قال عليه السلام (لا يكن أحدكم إمعة فيقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت بل وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس تحسنوا وإن أساؤوا فتجنبوا الإساءة) (٩).

فالتكافل الاجتماعي في الإسلام أوله وأساسه التكافل على إيجاد مجتمع فاضل لا يظهر فيه إلا الخير.وهو ما سعى إليه القائمون على الصندوق من خلال المشاريع التي توفر فرص العمل.

ونظراً لأنّ المال عصب الحياة، وقوام المعاملات الاقتصادية فقد اهتم به الإسلام من حيث المحافظة عليه وتنميته لتحقيق المنافع التي خُلق من أجلها، ولقد حرّم الله عز وجل اكتناز المال وحبسه عن التداول، فقال: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) صدق الله العظيم (التوبة : ٣٤)، وأوصانا الرسول صلى الله عليه وسلّم باستثمار المال حتى لا تأكله الصدقة، فقال في حديثه الشريف : " من ولى يتيماً له مال فليتجر له فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة " (رواه الترمذي). ويعرف علماء الاقتصاد الإسلامي الاستثمار بأنه: "توظيف أو استغلال المال (بكافة صوره) في المشروعات الاقتصادية بهدف الحصول على عائد حلال طيب لتنمية ماله وليعينه في حاجته في المستقبل". و الغاية التي يسعى الصندوق من خلال الاستثمار هي زيادة الإنتاج للاستزادة من أرزاق الله، وتنميته لما استخلفه الله عليه من مال، ليعينه على الإشباع المادي والإشباع الروحي، ويعتبر الاستثمار وسيلة من الوسائل المشروعة لتحقيق شرع الله وغايته من خلق الإنسان وهدفا من أهداف الصندوق وإن نظرنا الى أسس الاستثمار الإسلامي نجدها كالاتي :-

- السعي نحو الربح الحلال الطيب وتجنب الكسب الحرام الخبيث.
- تجنب المعاملات التي فيها شبهات فالحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرئ لدينه وعرضه.
- تجنب مجالات الاستثمار ذات المخاطر العالية والتي لا يمكن تحملها فالمحافظة على المال و تنميته من مقاصد الشريعة الإسلامية.
- الالتزام بفقه الأولويات الإسلامية في اختيار المشروع الاستثماري وهى : الضروريات فالحاجيات فالتحسينات.

وكلها يوليها الصندوق أهمية كبرى في إدارة المال التكافلي لتحقيق القدر المنشود من الربح لاستثمارات المشتركين في الصندوق.

كما أن لصناديق الحج دور كبير في دعم الرسالة النبيلة المؤداة من قبل الوقف الخيري بكافة أنواعه، وإن نظرنا إلى أهداف صناديق الحج التي تسعى من خلال الوقف الخيّر نجدها تتجلّى فيما يلي:

١. تحقيق مبدأ التكافل بين الأمة المسلمة وإيجاد التوازن في المجتمع فإن الله – سبحانه وتعالى- جعل الناس مختلفين في الصفات متباينين في الطاقة والقدرة، والوقف عامل من عوامل تنظيم الحياة بمنهج حميد يرفع من مكانة الفقير ويقوّي الضعيف، ويعين العاجز، ويحفظ حياة المعدم، من غير مضرة بالغني ولا ظلم يلحق بالقوي، وإنما يحفظ لكل حقه بغاية الحكمة والعدل، فتحصل بذلك المودة وتسود الأخوة ويعم الاستقرار، وتتيسر سبل التعاون والتعايش بنفوس راضية مطمئنة.

٢. في الوقف ضمان لبقاء المال ودوام الانتفاع به والاستفادة منه مدة طويلة، فإن الموقوف محبوس أبدا على ما قصد له لا يجوز لأحد أن يتصرف به تصرفا يفقده صفة الديمومة والبقاء.

٣. في الوقف استمرار للنفع العائد من المال المحبس، فثوابه مستمر لموقفه حيا أو ميتا وداخل في الصدقة الجارية التي أخبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنها من العمل الذي لا ينقطع، وهو أيضا مستمر النفع للموقوف عليه ومتجدد الانتفاع منه أزمنة متطاولة.

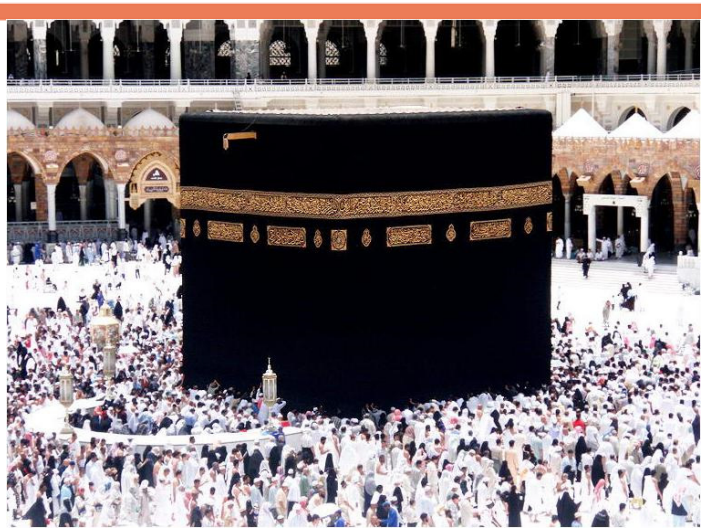

٤. للوقف مصالح لا توجد في سائر الصدقات فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالا كثيرا، ثم يفنى، فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى، ويجئ أقوام آخرون من الفقراء فيبقون محرومين، فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون هناك مال حُبِس للفقراء وابن السبيل يصرف عليهم منافعه ويبقى أصله).

٥. للوقف هدف أعلى وأسمى من بقية الأهداف وهو امتثال أمر الله - سبحانه وتعالى- بالإنفاق والتصدق والبذل في وجوه البر. كما في الآيات التي سبق ذكرها وغيرها من الآيات المماثلة، كما أن فيه امتثالا لأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالصدقة وحثه عليها.

٦. في الوقف تحقيق لأهداف اجتماعية واسعة وأغراض خيرية شاملة كدور العلم والوقف على طلبة العلوم الشرعية والعلوم المباحة التي تعود بالنفع على المسلمين والتي هي من متطلبات المجتمع المسلم، وما يتبع ذلك من أبحاث ودراسات تكون من وسائل تنمية المجتمع المسلم وإغنائه عما بيد عدوه.

وقد قام على الوقف جامعات علمية نشرت نورها على الأرض، وحملت رسالة الإسلام إلى الناس، وبسبب الوقف وحده نشطت في البلاد الإسلامية حركة علمية منقطعة النظير غير متأثرة بالأحداث السياسية والاجتماعية التي سادت بلاد المسلمين. فوفرت للمسلمين نتاجا علميا ضخما وتراثا إسلاميا خالدا، وفحولا من العلماء لمعوا في التاريخ العالمي كله.

جميع تلك الاهداف يسعى لها الصندوق ويتبنى تحقيقها لما يعتبر الوقف الخيري في الاسلام كشريان الحياة في حياة المسلمين. ومن هنا دعت الحاجة والضرورة الى إنشاء صندوق للحج في المملكة الاردنية الهاشمية لتحقيق تلك الأهداف النبيلة التي تقوم بها مثل تلك الصناديق وفعلا شاء الله عز وجل ان يرى صندوق الحج الاردني في بحر عام ٢٠١٢ وبفترة ليست بالطويلة وبفضل الله عز وجل وبجهود يشكر عليها من هو قائم على إدارة الصندوق، فقد تعدّت الأموال المدخرة للصندوق حاجز ١٥ مليون دولار، وتم توزيع نسبة الارباح فقد وصلت إلى ٤ ٪. كل ذلك أتى من عزيمة وإصرار للإدارة الجيدة والحصيفه للصندوق.

ومن هنا أيضا أبعث رسالة تمن ورجاء ان تعمم تلك البادرة الطيبة في بلاد المسلمين قاطبه ليعم الخير خصوصا أنّ مثل تلك الصناديق عادة ما تعود إدارتها الى وزارة الاوقاف الاسلامية كصندوق الحج الاردني، وهذا يعني ان الصندوق يدار من قبل إدارة تملك من المهارات المتخصصة في إدارة المال التكافلي، وتخضع تلك الادارة للرقابة الشرعية والادارية والمالية ومدى التزام تلك الادارة بالأنظمة والتعليمات المتبعة في الصندوق ابتكار اسلامي جديد يضاف الى عالم الاقتصاد والصيرفه الإسلامية يعيدنا الى وقت قد من مضى قرأنا عنه أنه مليء بالإنجازات والابتكارات القائمة على مبادئ وثوابت راسخة في الاقتصاد الاسلامي والتي تلبي حاجات الشعوب الإسلامية، وتراعي الفروقات المادية والمستويات المعيشية بين أفراد المجتمع المسلم.

إنّ هذا الابتكار النّاجح يستحق التعميم وإنشاء المؤتمرات والندوات حولها ليصل إلى جميع الدول الاسلامية بإذن الله يوما ما...